جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

الهوية الثقافية الأندلسية "النشأة والتحوّل" كتاب نفح الطيب للمقري(ت1041هجري) انموذجاً

ستار جبّار رزيّج *
قاسم أحمد خضر
جامعة المثنى/كلية التربية للعلوم الإنسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2019/2/25
تاريخ التعديل : --
قبول النشر: 2019 /3/19
متوفر على النت:2019/7/4

الكلمات المفتاحية :
الهوية الثقافية الاندلسية
كتاب نفح الطيب

الملخص

لقد تناولنا في دراستنا هذه كتاب)نفح الطيب للمقري(انموذجاً وهو خير دليل وشاهد على الهوية الثقافية الاندلسية التي عكسها الاخير من خلال نفحه ،اذ شغل النفح منزلة مميزة في التاريخ للدراسات الاندلسية، فكان هادياً ومرشداً للباحثين في التراث الاندلسي ،فقد افتتحه بمقدمة تتسم بالطول عبرت عن هوية مؤلفها الثقافية ذات الطابع الموسوعي ،فهي كالمرآة التي عكس فيها المقري نتاجه الفكري ،واطلق عليه)حافظ الغرب وجاحظ البيان(،كون اسلوبه يشبه اسلوب الجاحظ) ت255 هجري(في الاستطراد،واهتم المقري بالمنهج العلمي في نفحه بالاضافة الى الجانب الادبي والديني وكذلك التاريخي،ومما تجدر الاشارة اليه اننا لم نعرّف الا بنزرٍ يسير من جوانب موسوعية المقري وبالشئ القليل من مناحي ثقافته التي لايمكن لهذا البحث البسيط والمتواضع ان يستوعبها باي شكلٍ من الاشكال.

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2019

المقدمة

ترتبط الهويّة بالثقافة، وتتجسّد من خلال عناصرها ،اذ تعرف هويات الشعوب من خلال ثقافتها وتجمع الهوية الثقافية بين كل ما يمكن عدّه عاملاً مشتركاً بين افراد هذه المجموعة أوتلك كالمُثل والنظم والقيم والمعايير.

وانّ الانتماء لثقافةٍ ما :يُعبّر بالانتساب لمعايير وقيم هذه الثقافة أو تلك,اذ تُعدّ الهوية عنصراً تتداخل فيه الثقافة ،فلا هوية بدون ثقافة،اذ تُعد الروافد الثقافية من ابرز مقوّمات الهوية وعمود ثباتها التي تديم حيويّتها وتغذّيها.

أمّا فيما يخص الهوية الثقافية الأندلسية، فقد عانت في نشوئها من ضبابية المشهد والسبب هو تبعيّتها للمشرق ،فأرادت ان تكون هوية ثقافية مستقلة بذاتها من خلال البحث عن صورة واضحة المعالم لتلك الهوية،فأرادت ان يكون لها موضع قدم في ساحة الهويات المختلفة، **وكتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكروزيرها لسان الدين بن الخطيب** جاء ليحقق تلك الغاية من خلال كشف الغموض عن تلك النشأة في تبعية المشرق.

*الناشر الرئيسي : E-mail : sittar@gmail.com

جاء هذا البحث موضحاً جزءاً بسيطاً من ذلك كله ،فكان **المبحث الاول**:أولاً:الهوية الثقافية وتحديد المفهوم **وثانياً**:الهوية الثقافية الاندلسية وبواكير النشأة أمّا **المبحث الثاني** فمان عنوانه:كتاب نفح الطيب للمقري ودعائم التحوّل،ثمّ انهيت الدراسة بخاتمه لما نعتقد به.

المبحث الاوّل :

أولاً:الهوية الثقافية وتحديد المفهوم:

يختلف مفهوم الهوية لدى الباحثين نظراً لاختلاف توجهاتهم الإنتمائية ومنطلقاتهم المعرفية، فالهوية مصطلح ليس له ثَمّة تعريف ناجز ونهائي،اذ لا يمكن الاتفاق على إيجاد حد واضح وشامل ومانع له ،فهو اكثر تعقيداً من ذلك ،فالهوية ترتكز على الإنسان وكيانه باختلاف بيئاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية،0الخ ،وازداد موضوع الهوية صعوبة عندما سُحب موضوعه الى الدراسات الثقافية عامة والادبية خاصةً ،فهي تأخذ مسارات عدّة من خلال سعيها الى الظهور والتشكّل [1]0

وقد توالت الأبحاث والآراء التي تناولت هذا المفهوم الى أن أصبحت الموضوعات} الوعي والادراك والتاريخ والانا{ لدى مختلف المفكرين والفلاسفة في عصر النهضة من أهم الموضوعات ذات الصلة بمفهوم الهوية [2]0

والهوية متأتية من))هُوَ((أي حقيقة الشئ وجوهره وهي)الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[3]((،فهوية الانسان أو الحضارة أوالثقافة هي حقيقتها وجوهرها،وبما ان للانسان او الحضارة او الثقافة ثوابت ومتغيرات ،فإنّ هوية الشئ:ثوابته التي تتجدد لكنّها لا تتغيّر[4]،وإنّ)هوية أيّة أُمة هي صفاتها التي تميّزها عن باقي الأمم لتعبّر عن شخصيتها الحضارية [5].

والهوية لها ثلاث عناصر:العقيدة التي توفر رؤية للوجود ،والتراث الثقافي الطويل المدى ،واللسان الذي يجري به التعبير0[6]كون الاخير عاملاً مميزاً لثقافة شعبٍ ما عن ثقافة شعوب اخرى0[7]و)الهوية تعني بالضرورة ماهو فينا وليس في الاخرين[8](فالانسان يبدأ بادراك ذاته ضمن مكوّن اجتماعي ذي ملامح ثقافية، مميزة وخاصة ،فالهوية الفردية تنسلخ من جوّها المؤلّه للفردانية لتعبّر عن هوية ذات انتماء لتحقق حضور جمعي يتميّز بهويته الاجتماعية[9].

ويرى احد الباحثين المعاصرين إنّ) الهوية جملة من العلاقات والروابط العقلية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،نسجها تطوّر تاريخي محدد في الزمكان قاصدةً أبعاداً ثلاثة هي:علاقة الذات بذاتها وتنطوي على النرجسية يقابلها الشعور بالدونية ،وعلاقة الذات بالموضوع بالعالم الطبيعي والاجتماعي ،وعلاقة الانا بالاخر وتنطوي على المحاكاة والاقتداء ويقابلها الاستقلال والذاتية[10](، ونظراً لما سبق فالهوية)ليست معطى ثابتاً او جامداً او نهائياً ينبجس بتمامه مرّة واحد في تاريخ جماعة معينة[11](وهي تحتاج الى تجديد بصورة مستمرّة.

انّ الهوية كما نعتقد لايمكن الجزم في وضع تعريف واضح وشامل ومانع لها ،فالامر كذلك مع الثقافة فها سيّان في اشكالية تحديد مصطلح ثابت لها ؛نتيجة لاختلاف وجهات النظر وزوايا الرؤيا في التعامل مع مصطلح الثقافة[12]وهذا)ناتج من طبيعة تداخل الانظمة الثقافية مع الانظمة الاخرى ،فضلاً عن التغيير الثقافي الذي يحصل في المجتمعات البشرية وما يستتبعه من تطوّر فكري ومعرفي يسير مع تطوّر الحياة ،وهذا بدوره يؤدّي الى اضافة مضامين جديدة تعكس واقع المجتمع الذي يحتضن الثقافة وطبيعة تفكير ابنائه التي تتغيير تبعاً للظروف

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

الفكرية والاجتماعية والبيئية؛مما يجعل من مصطلح الثقافة مُستوعباً لكل هذه التغييرات التي تحصل[13].

إذ انّ مفهوم الثقافة عرف عدّة معاني وتحوّلات عبر التاريخ والحضارات ،فهو من المفاهيم التي يصعب تعريفها وضبط مكوناتها وطبيعتها لذلك نجد أنّ تعريفات هذا المصطلح كثيرة وصلت الى مايقارب المائة تعريف[14]او ربما اكثر ومنها على سبيل المثال لا الحصر)هي ذلك الكل المركّب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعادات ،واي قدرات اخرى او عادات يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في المجتمع0[15])

وبحسب الانثربولوجي)ادوارد تايلور (الذي يقدّم تعريفاً شاملاً للمفهوم، بعد ان احصى العديد من التعريفات لمفهوم الثقافة ،فهي)ذلك الكل الذي يتضمّن المعارف والعلوم والمعتقدات والفنون والآداب والاعراف وغير ذلك من منجزات الانسان كفرد أوكمجتمع[16]وفي العام 1985م عرّفت منظمة اليونسكوالثقافة بانّها)جميع معارف الانسان المتعلّقة بالطبيعة والمجتمع[17].

ومما تقدّم فان مفهوم الهوية الثقافية يتميّز بعدّة معان ؛كونه ظهر حديثاً وتخلله الكثير من التعديلات ،لذلك فان المجتمعات باختلاف ثقافاتها استعانت بالهوية كونها وسيلة تحمي ميراثهم الثقافي في المصدر الاوّل[18]0وتذهب الفرنسية)فانسونو(الى ربط الثقافة بالهوية وتعتبر ان الثقافة هي منتج تسبب في تطوير الهوية لدى الفاعلين الاجتماعيين،وعليه فان الهوية تتغذّى على الثقافة محققةً بذلك الهوية الثقافية،وبحسب ماتقدّم يتّضح للقارئ تعدد مفاهيم الهويّة الثقافية لدى الدارسين على وفق مرجعياتهم

ثانياً:الهوية الثقافية وبواكير النشأة

لقد هيمنت الاتجاهات الأدبيّة المشرقية على الساحة الثقافية في الأندلس حتى عُدّت الاساس الذي نشأت عليه الهوية الثقافية الاندلسية،فقد اسهم بيت الحكمة البغدادي في رفد الحركة الثقافية في الأندلس وتشجيعها وحثّها على الترجمة والتأليف،وتزويدها بالعلماء والعلوم والمؤلّفات وذلك كله بفضل الاتصالات والروابط الثقافية بين بغداد وقرطبة ،حيث درس عدد غير قليل من طلبة الأندلس في مدارس الكوفة وبغداد والصرة.

كما إنّ أهل الأندلس كانوا يستقبلون بإحترام كلّ من يأتي من بغداد؛وبسبب الاحداث السياسية في بغداد،فقد دخلت الكتب الفريدة والجواهر الثمينة الى الاندلس)كعقد الثعبان (للأميرة زبيدة،وقد كان كذلك لوصول ابي علي القالي) ت330-هـ(ونتاجاته المختلفة الاندلس في عصر الخلافة ،وكذلك وصول صاعد البغدادي صاحب كتاب)الفحوص(؛دليل على اسهام بيت الحكمة في النهضة والثقافة الاندلسية[19].

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله ظهرت تطورات حضارية كونه ذا اهتمام بالحركة الثقافية فقد كان)محباً للعلوم مكرماً لأهلها جمّاعاً للكتب في انواعها بما لم يجمعه احدٌ من الملوك قبله[20](،فقد بنى مكتبة خاصّة في قصره تحتوي على المئات من المجلّدات وتضم كذلك امهات المصادر والكتب من مختلف العلوم ،وظهر مجموعة من الأطباء في الاندلس ومنهم)) الزهراوي ((الذي كان يُعد آنذاك اكبر جرّاح في العالم ،وبنى الطبيبان:احمد واخوه عمر ابني يونس بن احمد الحرّاني اللذان تتلمذا في بغداد؛مذخراً لصناعة الأدوية في مدينة الزهراء،))اذ كانت الاندلس تتخذ من الثقافة المشرقية مثلها الأعلى تنسج على منوالها،بل تبذل اقصى جهدها في ان تتتبّع جزئياتها،ولها في ذلك رسائل متعدّدة منذ الفتح الإسلامي،فهي تتشرّب الثقافة المشرقية من مصادر مشرقية ،رجالاً وكتّاباً وتأليفاً ورسائل وغيرها وهي تقوم على جهود رجال كثرت رحلتهم منذ عهدٍ مبكّر الى ينابيع الثقافة المشرقية[21])

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

وبعد ان أحسّت الأندلس بأنّها اصبحت عالة على المشرق؛دعا المستنصر بالله الى ضرورةِ إيجاد هوية ثقافية مستقلّة تجد الاندلس فيها كيانها وذاتها،فقد بعث الاخير في الاندلس الشعور بهويّتها، اذ دعا الى جمع نتاجها الثقافي عن طريق سرد تاريخها والكتابة عن جغرافيتها،والترجمة لاعلامها من قضاة وفقهاء ونحويين وادباء ولغويين،ولعلّ ظهور اوائل علماء الاندلس في مختلف الاختصاصات الثقافية في بداية عصر الامارة هو مادفعه الى ذلك[22]0

ونتيجةً لذلك فقد ظهرمؤرّخون كُثُرمنهم عبد الملك بن حبيب كأوّل مؤرخ أندلسي [23]،ومحمد بن مسرّة كأوّل فيلسوف بالاندلس[24]،وحمد بن ابان أوّل طبيب أندلسي[25]،وعباس بن فرناس كأول مخترع أندلسي وهو أول من اكتشف صناعة الزجاج من الحجارة بجزيرة الأندلس[26].

و))في التاريخ الاندلسي كتب ابن القوطية ،وكتب خالد بن سعيد في رجال الاندلس ،والخشني كتب في قضاة قرطبة ،وكتب ابن فرج كتاب))الحدائق ((ويذكر فيه مائتي باب في كل باب مائتا بيت خصصها كلها لشعراء الاندلس دون غيرهم0 [27]((

ويُعد كتاب)طوق الحمامة(لابن حزم القرطبي من أهم الكتب الادبية،[28] ومن جانب آخر نجد انّ النساء قد شاركن في الابداع الادبي وتطوّره من امثال) لُبنى(كاتبة الخليفة المستنصربالله) ت374-هـ(و)مزينة(كاتبة الخليفة الناصر)ت358هـ [29](.وفي هذا مؤشّر على التحضّر والابداع والتقدّم الذي وصل اليه الاندلسيون في اثبات هويتهم الثقافية التي سعوا الى ان تكون مستقلّة بذاتها .

المبحث الثاني:

كتاب نفح الطيب للمقري)ت1041-هـ(ودعائم التحوّل:

لقد مثّلت مقدّمة كتاب نفح الطيب للمقري مرآة عكس فيها الأخير نتاجه العلمي كون علماؤنا الاوائل حرصوا على ان تكون فواتح مؤلفاتهم وكتبهم أو مقدّماتها ذات قدر كبير من الاتقان والدقة ،وهو الهدف الذي يرمي اليه البحث العلمي الحديث وطرائقه.

ومقدمة} النفح {تعبّر عن هوية المقري التلمساني الثقافية ذات الطابع الموسوعي وكذلك عن منهجيته العلمية،حيث تدل على سعة ادراكه وتبسطه في الادب العربي بشكل عام والاندلسي على وجه الخصوص.

والمقري:شهاب الدين احمد بن محمدالمقري التلمساني المولود بتلمسان) الجزائرحالياً(سنة986 هجرية المتوفي سنة1041 هجرية وهوجاحظ المغرب وحافظها[30]،لما يمتلكه من معلومات غزيرة تنم عن كثرة اطّلاعه وحفظه للاشعار والاخبار.

ولكون مقدّمة)نفح الطيب(ينطوي فيها عدد متنوّع من جوانب ثقافة مؤلفها الموسوعية العلمية ،فسوف نتطرق الى جزء يسير من تلك الجوانب على شكل محاور صغيرة رأينا ان تكون اربعة محاوركالأتي :

أولاً :المنهج العلمي للمقري في نفحه :

يتّضح لمن يقرأ مقدّمة) النفح(إنّ المقري قد قسّم موسوعته الأدبية التاريخية الى اقسام وأبواب متوافقة مع بعضها ،اذ قسّمها الى قسمين رئيسين:الاوّل يختص بالاندلس واخبارها وفيه ثمانية ابواب ؛امّا القسم الثاني فقد خصصه للتعريف بلسان الدين بن الخطيب وأخباره واحوال العلماء الذين تطرّق الى ذكرهم ،وجعل هذا القسم في ثمانية ابواب ايضاً وهذا التوحيد بين قسمي الكتاب من حيث عدد الابواب هو الذي يسلكه المؤلفون والباحثون في الوقت الحاضر وهو ماتتطلبه اسس منهج البحث العلمي القويم واهدافه،وهذا التقسيم يُوحي بأنّ مؤلفه قد نهج

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

فيه منهجاً علمياً فريداً يدلّ على هوية مؤلفه الثقافية الموسوعية.

وكذلك نجد ان المقري قد كشف النقاب عن هويته في نفحه ،فقد ذكر اسمه كاملاً وذهبه ومكان ولادته والاماكن التي حلّ بها،والاماكن التي استقى منهاعلومه أو درس بها ،فنراه يقول))فيقول العبد الفقير احمد بن محمدبن احمدالشهير بالمقري المغربي المالكي الاشعري،التلمساني المولد والنشأة والقراءة نزيل فاس الباهرة ثمّ مصر والقاهرة،[31] وقدحافظ المقري أيضاً على السجع في عنوان مؤلفه النفح وهو ماكان سائراًعند الاولين ،اذ كانت عناوين المصنفات والكتب مسجوعة حيث سمّاه))**نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ((وقد اتصف هذا العنوان المسجوع بالكمال والشمولية ،اذ ينطبق بشكل كامل مع محتواه من اقسام وابواب وموضوعات.

ومما يدلل على ثقافة المقري ومنهجيته العلمية وتثبيتاً للهوية الثقافية الاندلسية ،فقد ذكر لنا المقري اسماء بعض مصادر كتابه الادبية والتاريخية في مقدمة نفحه ،ومنها كتب ابن خلكان ،والصفدي ،وابن الاثير،وابن حجر العسقلاني ،وعبد الملك بن حبيب،وكذلك اعتمد على عدد غير قليل من المصادر المشرقية والمغربية والاندلسية في تصنيف كتابه))**نفح الطيب**((؛ وما تجدر الاشارة اليه انّ بعض تلك المصادر لم يصل الينا لأسباب عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر ؛قيام الاسبان بعد سقوط الاندلس باتلاف عدد كبير من المؤلفات والمصنفات الادبية والتاريخية في محاولةٍ منهم لطمس معالم الثقافة العربية في الاندلس،واوضح المقري انه ترك معظم مراجعه بالمغرب ،ولم ينقل منها الى مصر الاّ القليل وهو ماجعله يعتمد كثيراً على ذاكرته، اذ يقول:((وتركت الجميع بالمغرب ولم استصحب معي منه مايبيّن عن المقصود ويُعرب ، الا نزراً يسيراً علِقَ بحافظتي ، وحلّيت بجواهره جيد لفظي ،وبعض اوراق سعد في جواب السؤال به حظي ولو حظرني الآن مما خلفته،مما جمعت في ذلك الغرض وألفته،لقرّت به عيون وسرّت به الباب[32]((.

وحدد المقري الأسباب التي حدت به الى تأليف)نفح الطيب (حيث يقول):وكنّا خلال الاقامة بدمشق المحوطة واثناء التأمّل في محاسن الجامع والمنازل والقصور بالغوطة ،كثيراً مانظم في سلك الذاكرة ودرر الاخبار الملفوظة>فينجرّ بنا الكلام وللحديث شجون وبالفتن يبلغ المستفيدون ما يرجعون الى ذكر البلاد الاندلسية ووصف رياضها السندسية،فصرتُ اورد بدائع بلغائها مايجري على لساني من من الفيض الرحماني،واسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني من النظم الجزل،في الجد والهزل،والانشاء الذي يدهش به ذاكرة الالباب وان شاء،فلما تكرر ذلك غير مرّة على اسماعهم ،لهجو به دون غيره حتى صار كأنّه كلمة اجماعهم،فطلب مني المولى احمد الشاهيني*اذ ذاك،ان اتصدّى للتعريف بلسان الدين في مصنّف يعرب عن بعض احواله وانبائه وصنائعه وبدائعه[33]((.

والمقري كما يقول كان متردداً في بادئ الامر،لكن الحاح احمد الشاهيني *صديقه جعله يلبي له طلبه وعزم بعد ذلك على تأليف كتاب نفح الطيب وذلك عند وصوله الى القاهرة اذ يقول) :ثمّ اني لمّا تكرر علي هذا الغرّمن الالحاح ،ولم تقبل اعذاري التي زندها شحاح ،عزمت على الاجابة ،للمذكور علّي من الحقوق .فوعدته بالشروع في المطلب عند الوصول الى القاهرة المعزية .[34]

ومن المظاهر ذات الدلالةعلى هويتة الثقافية الاندلسية ان المقري اراد ان يبرز في كتابه مآثر الاندلسيين العلمية والادبية في قوله) :معتنياً بالفحص عن ابناء الاندلس،واخبار اهلها التي تنشرح لها الصدور والانفس

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

،ومالهم من السبق في ميدان العلوم ،والتقدّم في جهاد العدو الظلوم [35])

ويبدو انّ المقري قد تأثّر بكتاب الذخيرة لابن بسّام)ت-542هـ(الذي ألّفه في تراجم أدباء القرن الخامس الهجري بالاندلس،لغرض اظهار تفوّق اهل الاندلس في ميدان العلوم والآداب ،لعدم اكتراثهم بتسجيل مآثر بلدهم الادبية والعلمية ذات السبق اذ يقول ابن بسّام في مقدّمة كتاب الذخيرة) :حتّى ضمّنت كتابي هذا؛ أخبار هذا الافق ،ما لعلّي سأربي به على اهل المشرق[36]).

ثانياً :

الهوية الادبية :

المقري اديب ولغوي وشاعر فهو)يبثّ في ثنايا الاخبار والحوادث والتراجم داخل كتابه مما يُنشئه قلمه من نظمه او نثره،فحين تُعرض حادثة او ترد قصيدة أونحو ذلك مما يُثير اعجابه ويستدعي قريحته فيحاكي القصيدة بقصيدة من نظمه،ويضاهي الرسالة النثرية برسالة من انشائه[37])،ففي وصفه لمدينة طيبة)المدينة المنوّرة(يقول [38]:

اذا لم تطب في طيبةٍ عند طيب

به طيبة طابت فأين تطيبُ

فقد تكررت كلمة)طيبة(ست مرات وهو من باب الجناس ،اذ كان يُكثر المقري منه في نثره داخل النفح وهنا استعمله في شعره وهو ما يدل على ثقافة الرجل الموسوعية،فقد عُرف عنه) انّه كثير الحفظ لاشعار العرب؛نظراً لما يمتلكه من قوّة الذاكرة وصفاء الذهن وقوة البديهة[39])،وهوماجعله كثير الاقتباس لبعض الكلمات من قصائد بعض الشعراء الكبار في نثره وشعره كالمتنبي والخنساء على سبيل المثال لا الحصروقوله في مقدمته خير دليل على ذلك)وشاعرُهام في كلّ وادٍ،وقال مالم يفعل فكان للغاوين من الرواد،وموفق تيقّن انّ غير الله فان ، وكل الذي فوق التراب تراب[40])، فالمقري استشهد كما نراه ببيت من قصيدةٍ للمتنبي التي يقول فيها ابو الطيّب [41] :

اذا صحّ منك الودّ فالكلّ هيّنٌ

وكلّ الذي فوقَ الترابِ ترابُ

ومما يمكن الاشارة اليه انّ المقري على الرغم من كونه من اعلام القرن الحادي عشر الهجري،فان ثقافتة الموسوعية الادبية واللغوية والتاريخية والدينية واعتماده على مصادر نادرة ،جعلت من كتابه)نفح الطيب(أن يكون مصدراً ادبياً وتاريخياً لايقلّ شاناً عن الكتب التي تمّ ذكرها كالذخيرة لابن بسّام ومطمح الانفس للفتح بن خاقان وهما من المصنفات التي سلك مؤلفوها الاسلوب السجعي الذي طغى على اغلبها،اما المقري فكان اسلوبه السجعي سهلاً وسلساً في نفحه والسبب يعود لغزارة علمه ودرايته باسرار اللغة العربية وغريبها وتمرّسه في اختياراالالفاظ الجزلة والعبارات الخالية من القعقعة اللفظية .

ومما يدلل على ثقافة المقري اهتمامه بالامثال العربية القديمة،ومنها ماذكره في مقدمة كتابه قوله)وأتوق وقد اتسع من البُعد الخرق خصوصاً اذا شدا صاح أو ومض برق الى ديار لا يعدوها اختيار[42])،وقد نقل المقري من المثل المشهور)اتسع الخرق على الراقع(.

وكان اهتمام المقري بالنقد الادبي دليل آخر على ما يمتلكه من ثقافة ادبية عالية فقد التمسنا بعض الاشارات النقدية في مواطن عدّة منها على سبيل الاستدلال ؛ذكره للخنساء في قوله)وعاشق الخنساء فكره ذات الصدار من الشجون والشعار،تبكي على صخر قلب المحبوب،وتذكره كلّما طلعت شمس أو كان للصبا هبوب،[43])،فيبدي هنا اعجابه بقصائد الخنساء في رثاء اخيها صخرفي قولها [44]:

يذكّرني طلوعُ الشمس صخراً

وأذكرهُ لكلّ غروب شمسِ

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

ثالثاً:

الهوية الدينية :

يتّضح لمن يقرأ مقدّمة))نفح الطيب((مدى ثقافة المقري في علوم القرآن والحديث والفقه واصوله ،ومن يقرأ افتتاحية مقدمته يتخيّل له وكأنّه يقرأ كتاب في علوم الشريعة،فهو يُكثر من الالفاظ القرآنية والاقتباس القرآني وهذا خير شاهد على درايته بكتاب الله تعالى، وهو في اسلوبه هذا وكأنّه سار على ما اتخذه كبار المؤرخين الأندلسيين كابن بسّام وابن حيّان وابن الخطيب وابن حزم.

-1الاقتباس من القرآن الكريم:

من الامثلة الدالة على اقتباسه من القرآن الكريم قوله((وما يستوي الظل والحرور [45]والحزن والسرور والظلمات والنور[46]))،وقوله ايضاً))ومن كانت بضاعته مزجاة ،فهو عن الانصاف بمنجاة[47])).

-2الحديث النبوي:

امّا الحديث النبوي وثقافته فيه،نراه قد أفصح عن ذلك في اكثر من موضع في مقدمته ؛منها ماذكره من انه كان يقوم بتدريس الحديث الشريف في حجه في المدينه المنورة على مقربةٍ من قبر الرسول الاكرم)صلى الله عليه وآله وسلّم(اذ يقول)) :وأمليت الحديث النبوي بمرآى منه عليه السلام ومسمع0[48])

-3الفقهاء:

نقل لنا المقري شيئاً من كلام مالك بن انس امام دار الهجرة بحق النبي الاكرم)صلى(اذ قال) :وقد قال امامنا مالك صاحب المناقب الجليلة:كلّ كلام يؤخذ منه ويرد الا كلام صاحب هذا القبر ازكى صلاة واتم سلام[49])،وفي افتتاح مقدمته للنفح تجد اشارة واضحة الى التوحيد والعقيدة في قوله): أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له الذي ابتدأ الخلق من غير مثال وبرا وقسّم العباد الى حاضر وبادٍ وظاهر وخامل وقاصرٍ وكامل،،وجعل الاخرة لمن اتيح صغرا أوكبراً،جسراًللاخرة ومعبراً[50])

-4الأشاعرة :

المقري كان اشعري العقيدة اذ يرى ان) الرؤية(جائزة في الآخرة حاله كحال غيره من الاشاعرة فهي تدخل ضمن الجائزات في فكر الاشاعرة وهو ما أكّد عليه المقري في قوله [51]:

ورؤية الاله بالابصار

تجوز عند اهل الاستبصار

امّا عن كيفية الرؤية فهي من دون كيف ولاجهة ولامكان حيث رؤية الله تعالى ،رؤية مخصوصة يخص بها عزّ وجل من يشاء من عباده،فرؤيته تعالى ليست كرؤية غيره من الخلق،فهي كما قال ابو العباس المقري [52]:

دون تقابل أو اتصالِ

بل بالذي يليق بالجلالِ

رابعاً :

الهوية التاريخية:

تُظهر مقدّمة النفح لنا ثقافة المقري ودرايته الكبيرة بعلم الاخبار والتاريخ،فالكتاب موسوعة ادبية تاريخية ارّخ فيها الاخير لبلاد الاندلس وحضارتها الاسلامية من عدّة جوانب:سياسية واجتماعية واقتصادية وعمرانية وثقافية ،لاسيما الادبية منها اثناء مدة الوجود الاسلامي فيها منذ الفتح حتى سقوط الاندلس بيد الاسبان.

والمقري نفسه صرّح لنا عن جمعه بين الأدب والتاريخ في نفحه حيث يقول):واوردت فيه من نظم وانشاء مايكتفي المقتصر عليه ان شاء،ومن اخبارملوك ورؤساء،وطبقات من احسن واساء،مافيه اعتبار للمتأمّل،واذكار للراحل المتحمّل،وزينة للذاكر المتجمّل[53]).

ومما يُنبئ عن ثقافة المقري التاريخية ؛ماذكره من حديث عن أهمية علم التاريخ متكئاً على كلام الله تعالى في هذا

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

الجانب في قوله) :وأمر جلّ اسمه بالتدبّر في انباء من مضى والنظر في عواقب احوال الذين زال امرهم وانقضى،من صنوف الامم ،ووبخ من دجا قلبه بالاعراض عن ذلك واظلم[54](.

ويعرّج المقري كذلك على الفتوحات الاسلامية الكبرى ،وأوضح كيف انّ الدولة الاسلامية اتسعت رقعتها من حدود الصين شرقاً الى المحيط الاطلسي وبلاد الاندلس غرباً في قوله)وعلى آله وعترته الفائزين بأثرته،انصار الدين،والمهاجرين المهتدين واتباعه وذريته،الطالعين نجوماً في سماء شهرته،واتباعهم القائمين بحقوق نصرتهم ،ارباب العقل الرصين ،الفاتحين بسيوف دعوته ابواب المعقل الحصين، حتى بلغت احكام ملّته،واعلام بعثته ،من الاندلس والصين،فضلاً عن الشام والعراق [55](.

واكد المقري في مقدمته،التي)) تكاد ان تصل الى مئة واحدى وعشرين في الجزء الاول من الكتاب القسم الاول فكانت مقدّمة طويلة عبّرت تعبيراً دقيقاً عن هوية مؤلّفها الثقافية ذات الطابع الموسوعي [56]((على اهمية الجانب التاريخي في نفحه ،فقد احتوى على قسمين رئيسيين يضمان بين دفتيهما طائفة كبيرة من الاخبار عن الاندلس واحوالها اولاً،وعن اعلامها وادبائها في عصر ابن الخطيب ثانياً،وقد ذكر المقري ذلك اثناء تقسيمه لنفحه الى ابواب واقسام ،فهو يقول)) :لقسم الاول؛فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المترعة الاكواب ،والانباء المنتحية صوب الصواب ،والرافلة من الافادة في سوابغ الاثواب،وفيه بحسب القصر والاقتصار ،وتحري التوسط في بعض المواضع دون الاختصار،ثمانية من الابواب0[57]((

امّا عن القسم الثاني،فيقول في التعريف بلسان الدين بن الخطيب،وذكر انبائها التي يروق سماعها ويتأرجح نفحها ويطيب،وما يناسبها،من احوال العلماء والافراد،والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد ،وفيه ايضاً من الابواب ثمانية ،موصلة الى جنات ادبٍ قطوفها دانية،[58]فهو من اشد المولعين بادب ابن الخطيب.

الخاتمة:

سبحان الله رب العالمين،بارئ الخلق اجمعين، ولاإله الا الله الذي يعطي من أطاعه ومن عصاه ويغفر لمن جحده وجفاه ، والمحيط بالعظائم والدقائق ،والصلاة على اشرف الخلائق ؛محمد وآله الاطهار وصحبه الاخيار.

لقد مثل اندماج الهوية مع الثقافة عاملاً مشتركاً يرتكز على عدة روابط اجتماعية وبيئية ومعرفية وعقلية ؛نسج خيوطها التطوّر التاريخي المحدد في زمان ومكان محددين ،والهوية الثقافية بهذا المعنى اراد المقري اظهارها في نفحه واتخذ منها عنواناً لأهل الاندلس بعد ان اشتبه امرها على الناس في عصره ،فقد طُمست معالم هويتهم الخاصة نظراً لتبعيتهم للمشرق في كل شئ .

فما كان من المقري الاّ ان ينهض ويزيل ذلك الركام ويكشف الصورة الحقيقية عن معالم الهوية الثقافية الاندلسية المستقلّة عن الثقافات الأخرى،لاسيما الثقافة المشرقية في كتابه)النفح(،فللأندلس من الادباء والعلماء والمفكرين ما يُفتخر بهم0هذا من الجانب النظري.امّا الجانب التطبيقي في النفح ،فقد قسّمه المقري الى قسمين ضمّن كل قسم ثمانية ابواب ،وذكر المادّة المحتواة في كل باب منها ولم يتشابه منهجه في الابواب الستة عشر كونه خصّ كل باب بمادّة معينة ،وقد عرّف في نفحه بلسان الدين بن الخطيب،وعزم بعد ذلك على ذكر الاندلس وآثار ادبائها وبعض مفاخرها ونبذة عن النظم والنثر ونستخلص مما سبق انه من الاغراض التي من اجلها الّف المقري مصنّفه :

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

أولاً:انه تحدّى بنفحه العلماء الذين أضمروا له الكيد وحسدوه،فقد ضمّنه بمعلومات كثيرة وغزيرة من حافظته،ليدلّ ذلك على غزارة علمه.

ثانياً:أراد المقري ان يُعرّف اهل المشرق بالاندلس وأهلها.

ثالثاً:انّ النتاج الثقافي الاندلسي لايقلّ شأناً عن النتاج الثقافي المشرقي بعد ان احسّ بإهمال المشارقة للتراث الاندلسي ،فأورد اخبار اهلها وابنائهاومحاسنها.

رابعاً:كما انّه راد ان يُثبت تفوّقه كمؤلّف على نظرائه المشارقة.

واصبحت فيما بعد الهوية الثقافية الاندلسية واضحة المعالم بعد ان ثبّتها المقري في نفحه ،واصبحت فيما بعد على مسافة واحدة مع الهويات الثقافية عامة والمشرقية على وجه الخصوص.

الهوامش :

1-يُنظر:السرد والهوية اعمال مؤتمر السرد الثاني ،مجموعة من الباحثين ،الجامعة المستنصرية ،كلية الآداب،مطبعة كلية الاداب،العراق - بغداد،2017م،-2502التعريفات،السيدالشريف علي بن محمد الجرجاني ،دارعالم الكتب،بيروت،ط1،1987م، 314

3-يُنظر :مخاطر العولمة على الهوية الثقافية،محمد عمارة ،دار نهضة مصرللطباعة والنشر،ط1،1999م، 6

4-الهوية العربية عبر حقب التاريخ)ندوة علمية ثقافية(المجمع العلمي بغداد، شهر6، 1997م، 7

5-يُنظر:العولمة وعالم بلاهوية،محمد سمير المنير،دار الكلمة للنشروالتوزيع،المنصورة-مصر،ط1،2 ،م، 146

6-صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي،هنتنجون،ترجمة،طلعت الشايب،تقديم،صلاح قنصوة،ط2،1999 م، 116

7-نظرية الهوية بين التحدي والاستجابة،محسن خضر،مجلة الرافد،الشارقة،العدد، 24،1999م،107

8-يُنظر الهوية والآخر،صالح زامل،الدار العربية للعلوم،بيروت،1012م، 130

9-البحث عن الهوية والعنف،ادونيس العكرة ،مجلة الفكر العربي المعاصر،العدد،17،1982م، 93

10-السرد والهوية، 252

11-م0ن 252

12-م0ن

13-يُنظر:تأويل الثقافات مقالات مختارة،كليفوردغيرتز،تر،محمد بدوي المنظمة العربية للترجمة،الحمراء،بيروت،ط1،9 2 م

14-قاموس مصطلحات الانثنوبولوجيا والفلكلور،هولنكرانس،ترجمة،محمد الجوهري وحسن الشامي،9 2م، 144

15-الثقافة والهوية،عبد الرحمن بسيسو)بحث(،وزارة الثقافة ،فلسطين، غزة ، 16ابريل،5 2م،0 18

16-م0ن ،18

17-م0ن 18

18- التغيرات السوسيو -ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري،بريجة شريفة)اطروحة دكتوراه(،جامعة وهران،كلية العلوم الاجتماعية،الجزائر،2016م، 25

19-يُنظر:الشعر الاندلسي،غرسيه غومس،ترجمة،حسين مؤنس،القاهرة-مصر،1956م ، 25

20-نفح الطيب،المقري التلمساني،تحقيق احسان عباس،ط1،دار صادر،بيروت ،1968م ،ج1، 385

21-ملامح من الثقافة الاندلسية ،هاشم ياغي،مجلة كلية الآداب،الجامعة الاردنية،عمان،مج2،1971 م، 31

22-السرد والهوية، 254

23-يُنظر:تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ،ابن الفرضي،تحقيق،عزت العطار،القاهرة،1373هجري ،ج1، 321

24-يُنظر:جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس،الحميدي ،تحقيق ،محمد بن تاويت الطنجي ،مطبعة السعادة،مصر،1953م، 315

25-يُنظر:طبقات الاطباء،ابن جلجل،تحقيق،فؤاد السيد،القاهرة،مصر،1959م، ج4، 42

26-البيان المغرب ،ابن عذاري المراكشي،مطبعة المناهل،بيروت،لبنان،1950م،ج2، 166

27-السرد والهوية، 255

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

-28الابداع الحضاري للمسلمين في الاندلس)رسالة ماجستير(مجدي خليل محمد البردويل ،كلية الاداب ،الجامعة الاسلامية ،غزة،فلسطين،2014م، 58

-29يُنظر:م.ن، 61

-30الاعلام بمن حلّ بمراكش واغمات من الاعلام،العباس بن ابراهيم التعاريجي السملالي ،مراجعة،عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية،الرباط-المغرب،ج2،1993 م، 308

-31نفح الطيب،ج1، 13

-32م0ن، 102

-33مقدمة النفح،ج1، 69

*هوأحمد بن شاهين ،أحد أكبر ادباء الشام وسادتها)شاعر الشام واديبها(،عندما وصل المقري دمشق انزله ابن شاهين ت1053)هجري (فيها،خلاصة الاثر في اعيان القرن الثاني عشر،دارصادر،بيروت،ج1،20

-34م0ن،8.

-35م0ن ، 108

-36الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة،ابن بسّام الشنتريني،تحقيق احسان عباس،الدار العربية للكتاب،ليبيا-تونس،1975م، القسم الاول،مج 1، 16

-37نفح الطيب،ج1، 15

-38م0ن، 45

-39الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام،ج2، 308

-40نفح الطيب،ج1، 6

-41ديوان المتنبي، 481

-42نفح الطيب ،ج1، 17

-43م0ن، 7

-44ديوان الخنساء،7.

-45من الاية الكريمة)وما يستوي الاعمى والبصير،ولا الظلمات والا النور،ولا الظل والا الحرور(الايات(21-20-19)من سورة فاطر.

-46نفح الطيب،ج1، 3

-47من الاية،88من سورة يوسف) عليه السلام (

-48نفح الطيب، 57

-49م0ن، 109

-50م0ن، 2

-51اضاءة الدجنة في اعتقاد اهل السنة،المقري التلمساني ،راجعه وعلّق عليه الشيخ،عبد الله محمد بن الصديق الغماري ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،د0ت،49

-52م0ن،51

-53نفح الطيب ، 118

-54م0ن، 3

-55م0ن، 5

-56التلقي في كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب،)اطروحة دكتوراه (اقبال حسين عاصي،الجامعة المستنصرية،كلية الآداب،2015م، 38

-57نفح الطيب،ج1، 112

-58م0ن،115

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

- اضاءة الدجنة في اعتقاد اهل السنة،المقري التلمساني ،راجعه وعلّق عليه الشيخ،عبد الله محمد بن الصديق الغماري ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،)د0ت(، 49.

-الابداع الحضاري للمسلمين في الاندلس)رسالة ماجستير(مجدي خليل محمد البردويل ،كلية الاداب ،الجامعة الاسلامية ،غزة،فلسطين،2014م،58

-الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام،العباس بن ابراهيم التعاريجي السملالي،مراجعة عبد الوهاب بن منصور،الجزء الثاني ،المطبعة الملكية ،الرباط_المغرب،1993م،

-البحث عن الهوية والعنف،ادونيس العكرة،مجلة الفكر العربي المعاصر،ع،17،1982 م.

-البيان المغرب،ابن عذاري المراكشي،مطبعة المناهل،بيروت-لبنان،1950م .

-تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس،ابن الفرضي،تحقيق،عزّت العطّار،القاهرة-مصر،1373ه

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

-تأويل الثقافات مقالات مختارة،كليفوردغيرتز،تر،محمد بدوي المنظمة العربية للترجمة،الحمراء،بيروت،ط1،9 2 م

- التعريفات،السيدالشريف علي بن محمد الجرجاني ،دارعالم الكتب،بيروت،ط1،1987م،-- 314

التغيرات السوسيو -ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري،بريجة شريفة)اطروحة دكتوراه(،جامعة وهران،كلية العلوم الاجتماعية،الجزائر،2016م، 25

التلقي في كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقري)اطروحة دكتوراه(،اقبال حسين عاصي،الجامعة المستنصرية،كلية الآداب،2015م

-الثقافة والهوية،عبد الرحمن بسيسو)بحث(،وزارة الثقافة ،فلسطين، غزة ، 16ابريل،5 2م،0 18

-جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس،الحميدي ،تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي ،مطبعة السعادة،مصر،1953م0

-خريدة القصر وجريدة العصر،العماد الاصفهاني الكاتب، نقحه، محمد علي العروسي والجيلاني بن الحاج يحيى،ومحمد المرزوقي،الدار التونسية للنشر،1986م الجزء الثالث0

-ديوان الخنساء،تحقيق عبد السلام الحوفي،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان ،د-ت.

-ديوان المتنبي،ابو الطيّب المتنبي،دار الجيل ،بيروت،لبنان،د-ت.

-الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة،ابن بسّام الشنتريني،تحقيق،احسان عباس الدار العربية للكتاب،ليبيا،1975م ،الجزء الاول،المجلد الاول.

-السرد والهوية اعمال مؤتمر السرد الثاني ،مجموعة من الباحثين ،الجامعة المستنصرية،كلية الآداب ، بغداد،الجامعة المستنصرية،مطبعة كلية الآداب،2017م

-الشعر الاندلسي،غرسيه غومس،ترجمة،حسين مؤنس،القاهرة-مصر،1956م ،25

-صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي،هنتنجون،ترجمة،طلعت الشايب،تقديم،صلاح قنصوة،ط2،1999 م،116

-طبقات الاطباء،ابن جلجل،تحقيق،فؤاد السيد،القاهرة-مصر،1959م

-العولمة وعالم بلاهوية،محمد سمير المنير،دار الكلمة للنشروالتوزيع،المنصورة-مصر،ط1،2 ،م،146

-قاموس مصطلحات الانثوبولوجيا والفلكلور،هولنكرانس،ترجمة:محمد الجواهري وحسن الشامي،9 2م

-مجمع الامثال للميداني ابو الفضل احمد،تعليق نعيم حسين زرزور،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط1،1988م -

مخاطر العولمة على الهوية الثقافية،محمد عمارة ،دار نهضة مصرللطباعة والنشر،ط1،1999م،

6 نظرية الهوية بين التحدي والاستجابة،محسن خضر،مجلة الرافد،الشارقة،العدد، 24،1999م، 107

-ملامح من الثقافة الاندلسية ،هاشم ياغي،مجلة كلية الآداب،الجامعة الاردنية،عمان،مج2،1971 م، 31

-نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،احمد بن محمد المقري التلمساني ،تحقيق احسان عباس،دار صادر،بيروت -لبنان1988م،8مجلدات

-الهوية العربية عبر حقب التاريخ)ندوة علمية ثقافية(المجمع العلمي بغداد، شهر6، 1997م،

-7الهوية والآخر،صالح زامل ،الدار العربية للعلوم،بيروت-لبنان،2012م

-الهوية والسرد،بول ريكور،ترجمة ،حاتم الورفلي،دارالتنويرللطباعة والنشروالتوزيع،تونس،9 2م.

DOI:10.18018/URUK/019-12/1196-1207

Abstract:
In this study, we examined the book Nafah al-Tayeb al-Mokhari, a model which is the best evidence of the Andalusian cultural identity which the latter reflected through its success. It has been a distinctive feature in the history of Andalusian studies. It was a guide and a guide for scholars of the Andalusian heritage. She expressed the identity of her cultural author of an encyclopedic nature, such as the mirror in which Al-Maqri reflected his intellectual product, and he called it "the West's Edge". The style was similar to the style of Al-Jahiz (255i) in the digression. Al-Maqri focused on the scientific method in his soul as well as the literary and religious side As well as historical It should be noted that we did not know only a modicum of aspects encyclopaedic Mokri and Balhi few aspects of culture that can not search for this simple and humble to grasp any form .